عن هذه الفترة، يقول المؤلف ان البريطانيين احتلوا فلسطين وسوريا الكبرى وقسموها الى ثلاث مناطق عسكرية سلمت ادارتها الى ثلاثة ضباط: بريطاني وفرنسي وعربي. وعلى الرغم من هذا التقسيم، حاولت بريطانيا التملص من تعهداتها لفرنسا عبر اتفاقية سايكس ـ بيكو، لذا سعى وزير خارجية بريطانيا، لويد جورج، الى استغلال الصهيونيين الذين طالبوا باقامة وطن لهم كي يضمن لبلاده السيطرة على فلسطين. يحصل الصهيونيون على دعم فرنسي وايطالي، وترسل بريطانيا بعثة صهيونية الى فلسطين «لاستطلاع اوضاعها واعداد خطط مستوحاة من وعد بلفور».

بعد ذلك اجريت محاولات لابرام اتفاقية فيصل ـ وايزمان التي نجحت مع تحفظات فيصل، لكن الهدف الاساسي كان اقناع مؤتمر الصلح بان العرب لا يعارضون المخطط الصهيوني في فلسطين. وانعقد مؤتمر الصلح، وقرر ان المناطق العربية لن تعاد الى الحكم العثماني. وفي الثالث من شباط (فبراير) ١٩١٩، تقدم الصهيونيون بطلبهم القاضي بضرورة الاعتراف بما سموه العلاقة التاريخية بين اليهود وفلسطين واعلان البلد وطناً قومياً لليهود ومنح بريطانيا حق الانتداب عليه، وارفقوا معه خارطة تحدد منطقة الوطن، وهي كامل فلسطين ايام الانتداب اضافة الى جنوب لبنان حتى شمال الليطاني ومنطقة الجولان وكل القسم المأهول من شرق الاردن حتى الخط الحديدي الحجازي.

في هذا الفصل، يتم التطرق الى ان المشاكل الكثيرة التي حصلت بين الدول المعنية بمصير البلدان الخاضعة لحكم اجنبي، بينها بلدان المشرق العربي، قد حسمت اخيراً بمفهوم الانتداب الذي يهدف الى انتداب واحدة من «الامم المتقدمة» على بلد ما، وتكليفها بحكمه وتنظيم ادارته لفترة معينة تختلف باختلاف درجة الرقي التي وصل اليها سكان ذلك البلد، ثم مساعدة اولئك السكان على التقدم حتى يصلوا الى درجة يستطيعون معها الحصول على استقلالهم واقامة حكمهم الوطني. وهذا ما حدث، فعلاً، بالنسبة الى بلدان، منها سوريا، لبنان، العراق، ودول افريقية، غير ان الامر كان مختلفاً مع فلسطين التي كان انتدابها يستهدف تسهيل اقامة وطن قومي يهودي فيها.

في تلك المرحلة، عبّر عرب المشرق، عموماً، عن معارضتهم لفرض أية وصاية عليهم؛ غير ان معارضة عرب فلسطين التي تبلورت وتجددت بعد دخول البريطانيين يرويها هذا الفصل في انه في منتصف ١٩١٨، وجدت هذه المعارضة تعبيراً لها في قيام الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية، يجمعها هدف واحد هو معاداة الصهيونية، اضافة الى جمعيات ثقافية وسياسية اخرى استهدفت الحفاظ على الطابع العربي الفلسطيني. لقد تجلى ذلك في الذكرى الاولى لوعد بلفور حيث اقيمت مسيرة احتجاج في القدس اصطدمت بالشرطة وقتل شخصان، ونهضت أول تظاهرة عربية بقيادة موسى كاظم الحسيني، رئيس بلدية القدس، الذي قدم احتجاجاً خطياً الى الدول والشخصيات المعنية.

تلك الايام، اعلن عن تشكيل اولى الخلايا المسلحة، مثل «الاخاء والعفاف» و «الفدائية». وارسل الفلسطينيون احتجاجاً الى مؤتمر الصلح الذي كان يسعى للبت في مصير فلسطين، سجلوا فيه احتجاجهم الشديد بسبب ما سمعوه من ان الصهيونيين نالوا وعداً «يجعل بلدنا وطناً قومياً لهم، وانهم ينوون الهجرة الى هذا البلد واستعماره. وعليه، فاننا نحن المسلمين والمسيحيين المجتمعين بصفة مندوبين لأمة عربية حيّة من الامم الضعيفة... جئنا بهذا رافضين، رفضاً باتاً، كل قرار يتخذ بهذا الصدد قبل أخذ رأينا... ورغباتنا وامانينا...» (ص ٣٠).

انعقد المؤتمر الفلسطيني الاول في القدس واكد على اعتبار فلسطين جزءاً من سوريا العربية، وعلى رفضه لكافة انواع التقسيم والوصاية، وبعث مندوبين الى المؤتمر السوري العام المنعقد في اوائل تموز (يوليو) العام ١٩١٩. غير ان اوائل العام ١٩٢٠، شهدت العديد من الانتفاضات الجماهيرية في فلسطين وسوريا على وجه الخصوص، كما قامت محاولات عدة لقتل المستوطنين اليهود. وظهر الكثير من الصدامات المسلحة بين الجماهير والقوات البريطانية او الفرنسية. ومع تزايد تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين، والمناهضة الجماهيرية لها، عمقت السلطات البريطانية الخلافات العائلية ـ السياسية بين الفصائل والقيادات والشخصيات الفلسطينية ذاتها. اثر الصدامات المسلحة، تشكلت